

صلاتي.. وصلاحي/ ج (3)



- نماذج من العمل الصالح: فيما كان الأب منشغلاً في الردِّ على مكالمة هاتفيَّة، كان (أحمد) و(ليلي) قد استعدَّا لهذه اللَّيلة الفاصلة، حيث أخذ كلٌّ منهما دفتر ملاحظاته وتأهَّب لكتابة بعض القصص النافعة.. قالت ليلي: ستكون اللَّيلة دافئة حقاً، فأنا أحبُّ القصص. ردَّ أحمد: أَلَمْ تشبعي من القصص التي كانت أمِّي ترويها لكِ وأنتِ طفلة؟ الأُم: القصص ليست للأطفال فقط، حتى نحنُ الكبار بحاجة إلى سماع القصَّة المعبِّرة والنافعة. هنا ينهي الأب مكالمته ويدخل الصالون، فيسمع زوجته وأولاده يتحدَّثون، فقال مفاكهاً: ما هذا، يبدو أنَّ الدرس قد بدأ من قبل أن يأتي المعلِّم؟! أحمد: هذا نسمِّيهِ في درس الرياضة بـ(الإحماء).. مجرد تنشيط للذاكرة وتهيئة للذِّهن حتى يستعدَّ لتقبُّل الدرس. ليلي: الذِّهن اليوم مفتوح تماماً ولا يحتاج إلى مقوِّيات أو منششِّطات. (يضحك الجميع). الأب: جميل أن نستمع إلى قصص العمل الصالح فنقتدي ونهتدي بها، ونتمثِّلها فنعمل مثلها، ولكنَّ الأجل أيضاً أن تكون لنا أعمالنا الصالحة التي تتحوَّل إلى قصص تُروى وتُقتدى أيضاً، ذلك أنَّ أصحاب القصص الذين سأحدِّثكم عنهم هم في الواقع أناس أمثالنا، عشقوا الخير، وأحبُّوا أعمال البر والتقوى، ولم يكتفوا برواية قصص الصالحين والتسلُّي بها. الأُم: برأيي المتواضع، فإنَّ قصص العمل الصالح ليست قصصاً تاريخية فقط.. عملها أشخاص في الماضي، بل هي قصص يومية يمكن أن نشاهدها ونسمعها فيما يعمله الجار لجاره، والصديق لصديقه، والأب لأسرته. الأب: والأُم لأسرتها أيضاً.. أحمد: والأولاد لأسرتهم كذلك. ليلي: هات

يا أبي سمعنا بعض ما عندكم. الأب: أراك متحمّسة أكثر من كل ليلة. ليلي: أنا متحمّسة كل ليلة، لكن حماسي الليلة أكثر. أحمد مازحاً: إنها تحنّ إلى أيام الصّبا والطفولة حينما كانت مما تقصّ عليها بعض القصص قبل النّوم. ليلي بلغة ذكية: تلك كانت قصص ترويها لي أمّي لكي أنام، أمّا هذه القصص سيرويها أبي لكي أصحو وأنتبه وأستيقظ! الأب والأم (يُصفّيان ليلي). الأب: سأروي لكم أوّلاً قصّة عن التصدّق، وسنحدث عن معناها فيما بعد، فلقد قال رجلٌ صالح: لأتصدّقن اللّيلة بصدقةٍ، فخرج بصدقته فوضعها في يد (سارق)، فأصبح الناس يتحدّثون: تصدّق اللّيلة على سارق!! فقال: اللّهمّ لك الحمد على سارق!! وفي اللّيلة التالية، قال: لأتصدّقن بصدقةٍ، فخرج بصدقته فوضعها في يد (زانية)، فأصبحوا يتحدّثون: تصدّق اللّيلة على زانية! فقال: الحمد على زانية! وفي اللّيلة الثالثة، قال: لأتصدّقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدّثون: تصدّق على غني! فأُتيَ (أي جاؤوا وسألوه) فقال لهم: "أمّا صدقتي على (سارق) فلعلّه أن يستعفّ عن سرقتي، وأمّا (الزانية) فلعلّها تستعفّ عن زناها، وأمّا (الغني) فلعلّه أن يعتبر فينفق ممّا أعطاه!" أحمد: هذه القصة تلتقي مع مفهوم أنّ (الأعمال بالنيّات). ليلي: والقصة تقول إنّ ظاهر العمل ليس كباطنه، فالتصدّق على هؤلاء ظاهرياً لا معنى له، لكنّ قصد المتصدّق نبيل. الأب: ما شاء الله، لقد استوعبتم الدرس جيّداً. الأم: لكن، ألا ترون أنّ مواقف كهذه لا يتحمّلها الناس، أي أنّهم - كما تروي القصة - أصبحوا يتحدّثون، أي ينالون الرجل الصالح المتصدّق بالسوء، وليس كلّ الناس يأتون ليتحرّروا عن الحقيقة؟ الأب: ما تقولينه صحيح، لكنّ العمل الصالح والنيّة الصالحة لا يأبهان بالأقاويل، فليقل الناس ما يقولون، ما دامت نيّتي سليمة، وعملي صحيح، فأنا لا أعمل للناس أي لا أريد أن أكسب رضاهم في عملي، بل هدفي رضا الله، ولكن إذا أُسيء فهمي فأنا مستعدّ لتوضيح موقعي. أحمد: هل نحن مطالبون بتقديم تقارير للناس عن أعمالنا. الأب: طبعاً لا، لكن إذا ظنّ الناس بنا الطّنون، فيجب أن نوضّح لهم حقيقة الأمر بكلّ صراحة وبكلّ شفافية. ليلي: والقصة الثانية؟ الأم: يبدو أنّ ليلي لن تشبع اللّيلة من القصص؟ ليلي: لا سيّما إذا كان الراوي بابا! الأب: أشكرك يا ليلي على حُسن ظنّك بأبيك، وأمّا القصة الثانية فهي قصة أحد الصالحين الذي آلى على نفسه أن يمرّ به يوم من الأيّام إلا ويدخل السرور فيه على قلوب ثلاثة من المؤمنين، سواء بقضاء حاجة، أو مشاركة مجانية في عمل ينفعهم، أو نصيحة يطلبونها، أو حلاً لمشكلة، أو وساطة خير (حميدة) أتوسّط بها، أو إصلاح لعلاقة سيّئة، وما إلى ذلك. الأم: هنيئاً له على هذه الأعمال الصالحة.. إنّّه يوم مبارك، بل أيام مباركة هذه التي تجد قلباً رحيماً ونفساً زكيّة تُدخل السرور على الناس في زمن يتعمّد فيه البعض على الإساءة إليهم ومن دون أن يعتذر.

ليلي: لو خُلِّدَت قُلُوبَت. أحمد: حتى ولو لم يتمكن أحدنا من إدخال السرور على قلوب
ثلاثة، فليكن قلباً واحداً على الأقل؟ الأب ملاطفاً: قلبٌ مَن مثلاً؟ أحمد: قلبٌ ماما. الأب:
وأنت يا ليلي. ليلي: حتى تتكافأ الكفة.. قلبٌ بابا! الأب: وأمّا القصة الثالثة، فهي
لإنسان صالحٍ كان يهتم بتوسيع دائرة الصلاح، فلم يكتفي بأن يقوم بالأعمال الصالحة، بل
يحاول أن يدفع الآخرين إليها أيضاً. فلقد التقى بشخصٍ يرتكب المعاصي وراح يُفكّر في
الطريقة التي يُنقذه فيها من معاصيه، فتفتّق خياله أو ذنه عن طريقة ذكية لا تُشعر
العاصي بماضيه السيئ لئلا ينتكس، فكان إذا دخل وقت الصلاة قدّمه أما وصلّى خلفه، ليزرع
الثقة في نفسه، ويضعه موضع المسؤولية إزاء تصرفاته. وبالطبع كان يعلم هذا الإنسان
الصالح أن صلاته غير صحيحة، لأنّه يُصلّي خلف متجاهر بالمعاصي والذنوب، فكان يُعيد
صلاته فيما بعد، إلا أن هذا الأسلوب الفطن نجح في نقل هذا الشخص العاصي نقله نوعية، فكان
في البداية يتحرّج من ارتكاب المعصية من صاحبه الذي طرح الثقة فيه، وبالمداومة
والمواظبة كفّ نهائياً عن ارتكاب المعاصي لأنّه بات يراقب (□) بعدما كان يراقب
(صاحبه)! ليلي: □، □، هكذا العمل الصالح وإلا فلا. أحمد: لا تنسي يا ليلي، إن الأعمال
الصالحة ليست بحجومها ومنافعها، بل بدوافعها. ليلي: ما دامت هداية الآخر التي يحبّها
□ ويرضاها هي نيّتي، فعملي صالح. الأب: بالتأكيد، وبقطع النظر عن تقيق نتائج إيجابية
أو لم تسفر المحاولة عن نجاح، فحتّى يكون العمل صالحاً، لا بدّ من الاهتمام (بدافعه)
والنتائج تأتي تباغاً، فإذا فشلت، يكفيني أنّني حاولتُ واجتهدت. الأم: تحضرني هنا قصة
لامرأة عجوز كانت تُسمّى (شُطيطة) كانت تبعث بدريهمات (هي كلّ ما تملك) إلى صندوق إعالة
المعوزين الذي يُشرف عليه الإمام موسى الكاظم (ع).. فكان يدعو لها ويُشيد بعطائها على
الرغم من قلّته، وكان يسأل الجابي: أين هي دريهمات شُطيطة، وهو مأنوسٌ بها وسعيد.
أحمد: وهذه قصة أخرى يا ليلي تُضاف إلى الرصيد لم تكن في الحساب! ليلي: ماما عوّدتنا
دائماً على المفاجآت السارّة! الأب: أتعرفون أنّ واحدة من القنوات التي فتحتها الإسلام
للمسلمين حتى يعملوا الصالحات ما هو؟ أحمد: ما هو؟ الأب: قناة أو باب يُسمّى
(الوقفات).. فكلّ إنسان مُقتدر مالياً، أو حتى جماعة يمكنهم أن يشتروا شيئاً معيّناً
ويوقفوه (أي يجعلون خاصّاً بخدمة المسلمين) ليكون صدقة جارية لهم ما دام يُقدّم
خدماته للناس، حتى إنّ (ابن بطّوطة) الرحّالة الشهير لمّا وصل إلى دمشق وجد فيها
وقفاً لكلّ طفل أو غلام يبعثه أهله في حاجة إلى السوق فيفقد المال، أو تُكسر الآنية
التي معه، ويُسمّى (صاحب أوقاف الألوان).. بل رأى أوقافاً أو نوعاً من الأوقاف لا حصرَ
لها، منها: أوقاف (أموال) على العاجزين عن الحجّ، ومنها أوقاف (أموال) على تجهيزات
البنات غير القادرات عوائلها على تجهيزهنّ، ومنها أوقاف لأبناء السبيل (الغُرباء الذين

فقدوا ما معهم من المال أو نفذ ما لديهم فلم يتمكنوا من العودة إلى بلدانهم).. وأوقف
تزوُّد الأمّهات الفقيرات بالحليب والسكر! الأم: كم هي رائعة هذه اللّفتات الإنسانية
التي تقلّصت، إذا لم نقل إنّه اختفت في بعض بلداننا، رغم أنّ الإسلام الذي دعا إليها
حيٌّ ينادي بها ويدعو إليها! الأب: ختاماً، أو أخيراً وليس آخراً، أنقل لكم هذه القصّة
الموحية، فلقد التفت أحد الصالحين لرجلٍ حضر جنازة وقد سأله: "أتراهُ (أي الميت) لو
رجع إلى الدنيا يعمل صالحاً؟" أجابه الرجل الصالح: إن لم يكن هو فكُنْ أنتَ!! أحمد:
فعلاً ختامها مسك، فالعودة إلى الدنيا بعد الموت مستحيلة إلا إذا قامت الساعة، أمّا
الأحياء فهم المطالبون بالقيام بالأعمال الصالحة.. اللّهمّ ارزقنا أن نكون منهم. (الجميع
يرفعون أيدي الضّراعة): اللّهمّ آمين.